أثر الصورة التعبيرية في المعنى القرآني بين الحقيقة والتوهم

درس في أدب التلقي

دكتور

ياسر السيد عبدالعال البنَّا

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر

الملخص

تبدي هذه الدراسة تنوع الصور التعبيرية في القرآن الكريم بتنوع الموضوع والسياق، كما تبدي تفردها بسمات المعنى والمبنى ووجوه الإعجاز، فضلًا عما يحوط التصوير القرآني من القدسية والجلال حتى وإن تشكل من ذات المفردات المعجمية العامة بين النصوص، وذات الصور التعبيرية.

يأتي النص القرآني – بحسب حال المتلقي– ليس على درجة واحدة من وضوح المعنى، ومن ثم يمكن أن تتفق لدى بعض المتلقين صور ودلالات متوهمة تجافي المعاني المرادة، وتنأى بها عن جادة الصواب، وتسلط هذه الدراسة الضوء على نهوض معرفة أساليب العرب ومعانيها المعجمية، وإعمال الفكر والاستنباط لمعرفة السياق أدوات فاعلة في معرفة وتدبر المعنى السامي، وكشف ما قد يحصل للمتلقي من صور أو دلالات غير مرادة.

الكلمات المفتاحية: الصورة التعبيرية، الصورة القرآنية، أدب التلقي، تدبر السياق، المعاني المعجمية.

دكتور
ياسر البنَّا
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بقنا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
yasserelsayed.٤١١٩@azhar.edu.eg

Abstract:

This study shows the diversity of expressionist images in the Qur'an with the diversity of subject matter and context, as well as its uniqueness in the features of meaning, building and the faces of miracles, as well as the qur'anic depictions of sanctity and majesty, even if they form the same general lexical vocabulary between texts, and expressive images.

The Qur'anic text, considering the status of the recipient, is not a single degree of clarity of meaning, and therefore can be shared by some recipients with delusional images and connotations that are contrary to the meaning sought, and dissociate them from the seriousness of the right, and this study highlights the rise of knowledge of Arab methods and lexical meanings, the realization of thought and inference to know the context effective tools in knowing and managing the high meaning, and revealing what may happen to the recipient of unsatisfied images or connotations.

Keywords: expressive image,Qur'anic image,receiving literature, context management, lexical meanings.

D.r

Yasser Elbanna

Literature and Literary criticism, College of Islamic and Arabic Studies, Al Azhar University, Egypt.

yasserelsayed.٤١١٩@azhar.edu.eg

المقدمة

الحمد لله أنزل القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على صاحب البيان، والآل والصحب ذوي الإحسان، ثم أما بعد:

فغير خفي أن الصورة هي رأس جمال التعبير، وأساس فنون الأدب التي لا يتم دونها الجذب والإدهاش، وبها الأدب جدير، حين تتجسد الفكرة صورة حية تمنح المتلقي عوالم رحبة فسيحة، ورؤى وألوانًا جديدة، وانفعالات ومشاعر تسهم في تحقيق الفهم والإقناع.

وفي الوقت الذي قامت الحركات النقدية القديمة والحديثة بدرس الصورة التعبيرية والفنية في الشعر، وسائر النصوص الأدبية فإنها لم تمنح هذا الدرس بذات القدر لدراسة الصورة الفنية في النص القرآني، حتى أن أكثر هذا اللون من الدرس الفني اضطلع برصده أهل التفسير في طريقهم لدرس المدلول، وربما بعض أهل أصول اللغة في طريقهم للدرس المعجمي.

والصورة لفظ قرآني يعني الشكل لدى أكثر المفسرين ورد مرات ستًا بصيغ متنوعة بين صيغة الاسم في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾(١)، وصيغَتَي الفعل الماضي ثم الاسم في قوله تعالى:

(١) آية (٨)، سورة الانفطار.

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (١)، والمضارع في قوله تعالى: "﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٢)، وصيغة الماضي كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ (٣)، واسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ (٤) ..." (٥)

والألفاظ القرآنية – بما لها من معان ودلالات– توحي بالصور التي تبعث على التأمل وتثير الخيال، ذلك أن الصورة الفنية الناتجة عن اللفظ بدلالاته تأتي من أهم أدوات التعبير التي تضمن للقرآن الكريم أسس إعجازه، حين يتحول المعنى الذهني المجرد للَّفظ إلى مدركات حسية، وظلال حركية، أو صوتية، أو لونية، حقيقية أو متخيلة يكون لها بالغ التأثير في نفس المتلقي، وهذا هو المعنى المفاهيمي للصورة التعبيرية

غير أن هذه الصور قد لا تتفق أو تبدو واضحة لكل المتلقين، فالقرآن الكريم هو الخطاب الإلهي لكل الناس، والكتاب النوراني للعوام والخواص، ومن ثم كان من الطبعي لكثير من المتلقين عدم توافر بعض أدوات معرفة معانيه، ورؤية صوره، ذلك أن من المتلقين مَنْ رضي من

---

(١) من الآية (٦٤)، سورة غافر.

(٢) من الآية (٦)، سورة آل عمران.

(٣) من الآية (١١)، سورة الأعراف.

(٤) من الآية (٢٤)، سورة الحشر.

(٥) ينظر مقدمة كتاب: "وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم" عبدالسلام أحمد الراغب ص أ ط فصلت للدراسات والترجمة والنشر الأولى ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.

تلاوة القرآن الكريم بأجر التعبد ومثوبة التلاوة، وحُرِم حظه من رواء الفهم والعلم والتدبُّر.

ومما تنتهي إليه "نظرية التلقي" في المنهج الناقد أن تهتم بالفهم وليس القراءة فحسب، وأن تجعل كذلك لعملية الفهم وظيفة تسهم في التوصل لبناء المعنى، وعلى ذلك قد يأتي المُعْطى اللغوي معوزًا المتلقي لمرجعيات ذاتية، وأدوات أخرى معرفية وفنية تعينه على فهم النص والسمو به عن الخطأ في التأويل، ولعل الصورة هي أُولى هذه الأدوات.

وفي ضوء حال المتلقي نجد النص القرآني المعجز ليس على درجة واحدة من وضوح الدلالة، فقد يُدرَك بعضه بتدبر المعنى العام للآيات وما يُعرف بالسياق حيث إعمال الفكر والفهم والاستنباط، ويُدرَك بعض آخر بمعرفة المعنى المعجمي ومشتقاته، وبعضٌ ثالث تعرفه العرب بلسانها، وما يُعرف من معانيها، وأساليبها، ويعبَّر عنه بالاستعمال العربي، وطرق التعبير، وهي جميعًا أدوات حين يفتقدها المتلقي أوْ لا تكتمل لديه فإنه قد يجافي حقيقة المعنى القرآني، وينأى به عن جادة الصواب بين معان بينية قريبة، ومعان بعيدة خاطئة، ومعان متوهمة، وتأتي الأخيرة أشد خطرًا حين يرضى الواهم بما عنده معتقدًا صحة المعنى ووضوحه، وعدم حاجته إلى تفسير وبيان.

وتأسيسًا على ذلك تأتي هذه الدراسة بعنوان: "أثر الصورة التعبيرية في المعنى القرآني بين الحقيقة والتوهم .. درس في أدب التلقي"، وتهدف

لدراسة عدد من المعاني القرآنية المتوهمة لدى المتلقي[1]، وأثر الصورة التعبيرية في توهمها مع الاعتداد بحال المتلقي بين غير متَدَبِّر للسياق، أو غير بصير بأساليب العرب، أو معانيها المعجمية، وهي مباحث ثلاثة تُكَوِّن خطة هذه الدراسة.

وقد صدرتها بمقدمة وتمهيد، وذيلتها بخاتمة، وثَبْت للآيات القرآنية موضوع الدرس، ثم فهرسين لمراجع الدراسة، ومحتواها، وذلك حسْب منهج نقدي تفسيري شارح يستعين بالتفاسير المعتبرة ويعتمدُ التركيز على دراسة الصور التعبيرية المتوهمة – لدى المتلقي– عن اللفظ القرآني ودلالاته الحقيقية، وبيان حال المتلقي مع تلك الصور، وبيان ألوانها الأدبية بين وصفية، وحركية، وتشخيصية، وتجسيدية، مكانية أو زمانية، أو درامية مشهدية، ومنهج كذلك يُعنى بدرس الصور الفنية الناتجة عن التركيب، ولكن من حيث تعلقها بالصورة التعبيرية الجزئية للفظ القرآني(موضوع الدرس) وفق أُطر الإحكام، والترابط، والعلاقات التصويرية، والصور القرآنية العامة والمركزية، ووفق الوعي التام

---

(١) وقد كفاني جمع أكثر المواضع والآيات التي تضم هذه المعاني الكاتب السعودي "عبدالمجيد إبراهيم السنيد" في عنوانه: "مائة كلمة قرآنية قد تفهم خطأً"، طبعته مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)الأولى١٤٣٣ه=٢٠١٢م، وقد نبه إليه في صفحته على "tweets" وعلى منصة موقع البيان: www.albayan.aelfivesenses بتاريخ١٧/١٠/ ٢٠١٢ كما عرض لهذه المعاني كثير من العلماء المفسرين بما لا يعوزنا إلى ذكر عناوين، أما الدرس الأدبي لأثر الصورة تعبيرية وفنية وأنواعها، وأحوال المتلقي تحديدًا مع هذه المعاني المتوهمة فهو ما يأتي جديدًا في هذه الدراسة إذ لم تنحصر له فيما توفر لديَّ دراسة في القرآن الكريم سبقتها.

والتحسُّب الواجب لما تتفرد به الصورة القرآنية من قدسية وجلال، مع تقديم الصورة الأكثر دلالة على الفكرة في ترتيب الآيات، واعتماد ترتيب سور القرآن الكريم عند تساويها في الدلالة، والتزام أداء حق الهامش وخدمات النصوص على تنوعها.

المبحث الأول
صور تعبيرية متوهمة لعدم تدبر السياق

يأتي السياق في أقرب معانيه: تساوق الكلام وتتابعه مع مراعاة ما قبله وما بعده، وهو معنى على قربه لا يتأتى في القرآن الكريم إلا لمن أذن الله تعالى له بفهم مراده، فيما يُعرف بالتدبر، وله خطوات لعل أهمها: الإصغاء، والنظر، ثم إعمال القلب والعقل أداتين للتدبر والاستنباط.

وقد دعا الله –عز وجل– إلى التدبر وإعمال الفكر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، ومِثله كثير من آيات الخطاب القرآني الداعي للتفكر والنظر، وفي السياق ذاته يأتي اتفاق أهل العلم على عدم صحة عزل النص عن أبعاده الدلالية ومحيطه المعرفي وسياقه العام، فالألفاظ لم توضع فقط لمعرفة دلالاتها في نفسها، وإنما فيما أضيفت له من تراكيب معنوية وعضوية، لاسيما النص القرآني المعجز بما يحوي من دلالات وسياقات وقرائن.

غير أن كثيرًا من المتلقين ممن لم تتوافر لديهم أدوات الوقوف على سياق الآيات ومعناها العام قد يتوهمون معاني ليست مرادة، وربما رؤيتهم لصورة تعبيرية في الألفاظ القرآنية أو صورة فنية في تراكيبها تسهم في ذلك، ولعل من هذه الصور ما كان من حال بعض المتلقين من

---

(١) آية (٢٧)، سورة الزمر.

(٢) من الآية (٢١)، سورة الحشر.

استلهامه صورة تعبيرية مشهدية قريبة لمعنى حمل الأشياء ورفع الأثقال للفعل "تَحْمِل" في قوله تعالى وصفًا وتشبيهًا لمكذب آياتــه: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾(١) فقد جاء في تفسير الطبري، وغيره قوله تعــالى: " إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ": تطرده(٢)، وأورد القرطبي وغيره في ذلك قول القتبي: "كل شــيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في كل حــال فضربه الله مثلًا لمن كذَّب بآياته، فقال: إن وعظته ضل وإن تركته ضل، فهو كالكلب إن تركته لهث، وإن طردته لهث..."(٣)، وعلى ذلك يكــون معنى قوله تعالى "إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ": تزجره وتطرده، وهو المعنى الملائم لسياق الآيات – بحسب أكثر المفسرين– حيث الصورة البيانية القرآنيــة لحال المكذِّب بالآيات والمنسلخ عنها المطموس على قلبه سواء وعظتــه أو لم تعظه، فإنه يظل على تكذيبه، وصورة التشبيه التمثيلي لهذه الحــال بحال الكلب دون سائر الأحياء التي تلهث حال الإعياء تعبًا وعطشًا؛ لأنه لايلهث إعياءً فحسب، وإنما تظل هذه صورته إن أحسنت إليه وأبقيتــه، وإن أتعبته، أو زجرته وطردته، فهو يلهث في كل حال.

---

(١) من الآية (١٧٦)، سورة الأعراف.

(٢) ينظر: "تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويــل آي القــرآن" ت: د/ بشــار عواد، وعصام فارس ٣/٥٢٣ط مؤسسة رسالة الأولى ١٤١٥ه=١٩٩٤م.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن" أبو عبدالله القرطبيت: د/ عبدالله عبدالمحسن التركي٩/٣٨٧ ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٧ه=٢٠٠٦م.

غير أن الصورة التعبيرية المتخيلة لدى المتلقي والمعنى المعجمي قد يوحيان – لمن لا يتفق له سياق الآيات من المتلقين– بتلك الصورة القريبة للكلب حين يُرفع عليه ما يثقله بالأحمال كما في معنى قوله تعالى تشبيهًا لحال اليهود مع التوراة: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ (١)، وهي صورة غير مرادة في تشبيه حال المكذب إذ الكلب لا تُحمل عليه الأثقال، وقد بدا واضحًا أثر الصورة، وصنيع خيال المتلقي حيث تجسيد صورة حمل الكلب للأثقال، وما أفادته من دعم المعنى المتوهم، ومجافاة المعنى المراد بصورة زجر الكلب وطرده، وهي صورة ملائمة للسياق، وداعمة لجمال اللغة وجلال معناها القرآني.

وقد يتأكد توهم الصورة التعبيرية لدى المتلقي لاستحالة حقيقتها في حق الله تعالى كما جاء في المعنى المتوهم للفعل (نقدر) من قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، فقد يركن المتلقي لمعنى قريب للفعل (نقدر) دون أن يتدبر سياق الآية، فيتصور معنى (لن نقدر) من (القدرة) أي لن نستطيع، وهو معنى محال في حق الله تعالى أن يتصوره العباد

---

(١) من الآية (٥)، سورة الجمعة.

(٢) من الآية (٨٧)، سورة الأنبياء، وجاءت في ذي النون نبي الله يونس بن متى عليه السلام حين أرسله الله إلى قومه فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا عنه فوعدهم عذاب الله تعالى وذهب عنهم مغاضبًا لربه بهذا الذهاب وظانًا عدم العقاب.[ينظر: "تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ٥/٢٧٤]

فضلًا عن صدوره من نبي، وحقيقة المعنى -بحسب أهل التفسير- أن الفعل من (التقدير) أي ظن أن لن نضيق عليه أو نعاقبه، أو أن لن يأخذه العذاب(١)، وهو معنى يبدو واضحًا تؤكده دلالة السياق، وما ينسجم معها من ظلال الصورة اللفظية المرادة.

ويلحق بهذا ما قد يتوهمه المتلقي -بعيدًا عن السياق والمعنى العام- من صورة تعبيرية تجسد معاني الخير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(٢)، بمعنى حب الإنسان لفعل الخيرات، وهي صورة وإن اتفقت مع المعنى المعجمي للألفاظ إلا أنها غير مرادة في الآية، فقد اتفق المفسرون على أن لفظة (الخير) جاءت لتعني المال، وكَدّ الإنسان في طلبه وحبه، وبخله به؛ لينفقه على نفسه(٣)، وأورد أكثرهم في ذلك قول طرفة:(٤)

---

(١) ينظر: "تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" الإمام محمد الرازي٢١٥/٢٢ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأولى ١٤٠١ه=١٩٨١م.

(٢) آية (٨)، سورة العاديات.

(٣) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ص٢٠٢٤ ط دار ابن حزم الأولى ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

(٤) طرفة بن العبد البكري الوائلي (٨٦٦٠ق هـ٥٣٩٥٦٤م): شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءا غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد.[ينظر: "معجم الشعراء الكبير"د/ يحيي مراد٤٧٣/١ط دار الحديث القاهرة١٤٧٧ه=٢٠٠٦م].

أرى المـوتَ يعتـامُ الكـرامَ ويصْـطفي عقيلةَ مالِ الباخل المتشدّدِ[١]

فأهل الدنيا يسمون المال خيرًا يضنون به، ولا شك في أنـه معنـى يتفق مع معنى الآيات وملامح الصورة الكلية للإنسان فيها.

ومن صور التعبير الوصفية التي قد يتوهمها المتلقي حين يراها بعيدًا عن معاني سياقها ومشهدها العام تلك التي جـاءت فـي قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[٢]، حـين يتخيـل صورتهم مترقبين خائفين من فعل المعصية، وما ينتظرهم من العـذاب حين يرجعون إلى الله تعالى، وبحسب أهل التفسير ليس كذلك المعنى، فقد جاءت الآية في سورة "المؤمنون" بين آيات وصف فضائلهم، وقد سبقها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[٣]، ثم جاءت الآية لتؤكد ترقبهم ولكن تورعًا وخوفًا على الطاعة ألا تقبل[٤]، وليس خوفًا من معصية تستحق عـذابًا، وقد ورد في ذلك قول أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنهـا– للنبـي –صلى الله عليه وسلم–: أهم الذين يشربون الخمر ويسـرقون؟ قـال: "لا يابنت الصديق، ولكنهم يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا

(١) "ديوان طرفة بن العبد" شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدينص٢٦ ط دار الكتب العلمية الثالثة١٤٢٣=٢٠٠٢م.، والبيت من بحر الطويل.

(٢) آية (٦٠)، سورة المؤمنون.

(٣) آيات (٥٧:٥٩)، سورة المؤمنون.

(٤) ينظر: "تفسير الطبري" ٣٧٠/٥.

يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون"[١]، ولعل المؤمن يرى الطاعة تزيده من الله قربًا وخشية، ويؤكد ذلك قول "الحسن البصري": "لقد أدركت أقوامًا كانوا من حسناتهم أنْ تُرد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها"[٢]، وليس أكثر دلالة من ذلك على كون عدم تدبر سياق الآيات سببًا في توهم المتلقي لصورة درامية غير مرادَة، لاسيما حين يدعمها المعنى المعجمي للفظ .

ولعدم تدبر السياق قد يحدث للمتلقي أن يتوهم صورة تعبيرية لمعنى غير مراد على الرغم مما قد يجتمع لهذه الصورة من صورة أخرى بيانية تدعم المعنى الحقيقي وتجليه، ومن ذلك حالُ بعض المتلقين مع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[٣]، على أن (جان) من الجن قسيم الإنس، وهو معنى بعيد عن السياق غير مراد، وبحسب أهل التفسير، وأحد معاني المعجم، يأتي (الجان) في الآية لنوع من الحيات أسرع حركة وأكثر اضطرابًا، وهو المعنى المراد من الصورة التشبيهية في الآية، فهو من التشبيهات القرآنية المفردة حيث "تشبيه العصا بالجان –

---

(١) "سنن الترمذي" الإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي ت: محمد ناصر الألباني حديث رقم (٣١٧٥) ٣٠٧/٥ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض دون تاريخ.

(٢) "أحكام القرآن" الإمام أبوبكر أحمد الجصاص ت: محمد الصادق قمحاوي٩٣/٥ ط دار إحياء التراث العربي بيروت١٤١٢ه=١٩٩٢م، ووردت في كتاب "مائة كلمة قرآنية قد تفهم خطأ" عبدالمجيد إبراهيم السنيد ص٢٩.

(٣) من الآية (١٠)، سورة النمل.

نوع من الحيات- من غير زيادة، وهي في ورودها على جهة القرب صورة في تشبيهها غير بعيدة، ومألوفة غير مستنكرة، حازت من اللطافة والرقة ما لا يخفى حاله على ناظر..."(١)، صورة بيانية تشخيصية تمنح الحركة وتبث الحياة، ومعنى يدعم سياق الآية ومعناها العام، ويجافي في الوقت ذاته تلك الصورة المتوهمة للعَصَا تشبه الجن قسيم الإنس.

ولعل منه كذلك ما قد ينتج من صورة عن لفظة (عسى) في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)، وجاء أنها نزلت في عشرة من الصحابة -منهم أبو لبابة- تخلفوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك وقد ربط سبعة منهم أنفسهم في سوارى المسجد ندمًا وتوبة، واتفق المفسرون على أن الرجاء من الله تعالى في قوله (عسى) واجب، ومعناه سيتوب عليهم، ويؤكده أن النبي -صلي الله عليه وسلم- بعد نزول الآية عذرهم وأطلقهم، إلا أن بعض المتلقين قد يتوهم صورة المقاربة في معنى الرجاء بكلمة عسى، ويظن أن الله تعالى لن يغفر لهم، لاسيما حين يركن إلى معناها المعجمي فحسْب، دون أن يتدبر سياق الآية ومحيطها المعرفي العام، وبلاغة الكناية عن تحقق وقوع المرجو؛ فليس للمقاربة في الصورة سوى إثبات قدرة الله تعالى واختياره.

---

(١) "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" يحيى بن حمزة العلوي ٣/٣٣٣ط مطبعة المقتطف بمصر١٣٣٣ه=١٩١٤م.

(٢) آية (١٠٢)، سورة التوبة.

وكذلك من الصور التعبيرية المتوهمة وقد اجتمع لها صورة أخرى بيانية ما قد يتوهمه المتلقي من صورة استعارية تشخيصية حاضرة للقوم ممزقة أجسادهم ومقطعة أشلاء تعبيرًا عن قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾(١)، وهي خيالية غير مرادة إذ المعنى لدى المفسرين: فرَّقناهم في البلاد، وذلك بعد أن كانت لهم قرى متصلة يطل بعضها على بعض، لكنهم بطروا معيشتهم الرغيدة، وقالوا " رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ"(٢)، فكان التفريق عقابًا مؤلمًا وكأنه تمزيق، حيث "لحقت غسان بالشام، والأنصار بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعُمان"(٣)، تقطعت أوصالهم وجاء التفريق والتشتيت صورة بيانية استعارية تتوافق مع سياق الآية، وتسهم في دعم معنى الألم الذي صار إليه القوم بعد العقاب، وهي معان تبدو المفارقة جلية واضحة بينها وبين تلك الصورة المتوهمة.

وكذلك من تلك الصور التي يتأكد توهمها بدلالة السياق تلك الصورة المحسوسة التي قد يتوهمها المتلقي في لفظة (مبصرة) من قوله تعالى: "وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا"(٤)، إذ ليس المراد أن للناقة بصرًا تبصر به وإن كان هذا واقعًا، وإنما المعنى –بحسب أهل التفسير–

(١) من الآية (١٩)، سورة سبأ.

(٢) من الآية السابقة، سورة سبأ.

(٣) ينظر: "تفسير الطبري" ٢١٨/٦.

(٤) من الآية (٥٩)، سورة الإسراء.

وما يُعلم من السياق: أعطينا قوم صالح الناقة آيةً واضحة، فهو من "إيجاز الحذف"(١)، ونظيره في القرآن الكريم كثير.

ومن تلك الصور كذلك ما قد يتوهمه المتلقي من صورة وصفية تعبر عن قدوم يوم القيامة تفسيرًا لوعد الآخرة في قوله تعالى خطابًا لبني إسرائيل: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ"(٢)، وهي صورة غير مرادة في سياق الآيات، وإنما المراد بوعد الآخرة: وعد الإفساد الثاني لبني إسرائيل، والمعنى بحسب المفسرين: فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرَّتي إفسادكم في الأرض ليسوء –مجيء ذلك الوعد مرة ثانية– وجوهكم فيقبحها"(٣)، ويفسره قبله قوله تعالى: " وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤"(٤)، وعليه تبدو بلاغة إيجاز الحذف وتمامه وعد المرة الآخرة، وما في ذلك من تأكيد توهم صورة مجيء يوم القيامة معنى لوعد الآخرة في الآية، وتبدو ناهضة دلالة السياق دليلا قويًا على ذلك.

---

(١) يكون بحذف كلمة أوجملة أو أكثر مع تمام المعنى، ومنه "**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا**"[من الآية (٨٢)، سورة يوسف] أي أهل القرية.[ينظر: "جواهر البلاغة المعاني والبيان والبديع" السيد أحمد الهاشمي ص١٩٥ ط دار الفكربيروت١٤١٤هـ=١٩٩٤م]

(٢) من الآية (٧)، سورة الإسراء.

(٣) تفسير القرطبي ١٣ـ/٣١

(٤) آية (٤)، سورة الإسراء.

ومنه كذلك الصورة التعبيرية للفظة (جيوبهن) في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(١)، فقد يتوهم المتلقي صورة تجسيدية للجيوب، وهي خبنة الثوب (الجزء المثنيّ المخيط فيه) لتوضع فيه النقود ونحوها(٢)، وهي صورة غير مرادة في الآية، وإنما المعنى بحسب المفسرين لجيوبهن: صدورهن، وعن ابن كثير: "المقانع يعمل لها صنفات ضاربات على صدور النساء، لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها؛ ليخالفن نساء أهل الجاهلية، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك..."(٣)، وهي صورة تعبيرية وصفية واضحة لخمار المرأة تسهم في أداء معنى الأمر بالتستُّر فضلًا عن كونها تتفق مع سياق الآيات وصورتها الكلية، بل وتتفق كذلك مع الصورة المركزية العامة للسورة الكريمة، حيث معاني التشريع الإلهي لعدد من الأحكام والآداب والفضائل الإنسانية.

ومن الصور التعبيرية الحسية التي قد يتوهمها المتلقي غير المتدبر للسياق ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾(٤)، فالمعنى بحسب أهل التفسير أن المنافقين كلما ظهر من

---

(١) من الآية (٣١)، سورة النور.

(٢) ينظر: "لسان العرب" ابن منظور المصري ١٣٦/١٣ [مادة خبن] ط دار المعارف مصر – دون تاريخ.

(٣) "تفسير القرآن العظيم" ابن كثيرص١٣٢٩.

(٤) من الآية (٢٠)، سورة البقرة.

الإيمان نور وخير –ولو يسير– استأنسوا به واتبعوه، ثم ما لبثوا أن تعرض لهم الشكوك وتظلم قلوبهم، ويقفوا متحيرين حين يصاب المسلمون بنكبة، ويصدقه قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(١)، وعلى هذا المعنى تكون جملة (قاموا) في قوله:﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾: ثبتوا مكانهم متحيرين(٢)، وليس المعنى تلك الصورة التشخيصية الحركية لقيامهم من قعود كما قد يُتَوهم ويشير المعنى اللغوي، ولعل مثله صورة التعبير عن لفظة "تقوم" في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾(٣)، أي تثبت، وقوله تعالى: ﴿ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ ﴾(٤)، أي لتثبت، على مايبدو واضحًا من سياق الآيات ومعناها العام بعيدًا عن صورة التعبير لدى المتلقين، وما تمنحه للمعنى المتوهم من محسوسية وتجسيد أو تشخيص، وكذلك بعيدًا عن الصورة البيانية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ كناية عما يصيب

(١) من الآية (١١)، سورة الحج.
(٢) ينظر: "تفسير الطبري" ١/١٣١.
(٣) من الآية (٢٥)، سورة الروم.
(٤) من الآية (١٠٢)، سورة النساء.

المسلمين من ألم أو نكبة، وما تضفيه من بلوغ ووضوح للمعنى الحقيقي بتشكك المنافقين وتحيرهم.

وكذلك منها ما قد يتوهمه المتلقي من صورة التعبير بالكتاب المعلوم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾(١)، صورةً تجسيدية لكتاب حقيقي أرضي أو سماوي، وهي صورة غير مرادة في سياق الآية، وإنما معنى الكتاب المعلوم بحسب المفسرين: وقت محدد وأجل مقدر في علم الله تعالى لهلاكها، فلاتسبق أمة أجلها المعلوم(٢)، وذلك لقيام الحجة عليها، وغير خفي فيه معنى الاستثناء اعتراضًا في تذييل الآية ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾، وما يسهم من تأكيد معنى إمهال الله تعالى للأمم الآثمة ثم أخذها بالعذاب الشديد.

---

(١) آية (٤)، سورة الحجر.

(٢) ينظر: "تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" الإمام محمد الرازي١٩/١٦٠.

المبحث الثاني
صور تعبيرية متوهمة لعدم معرفة أساليب العرب

جاء القرآن الكريم ضابطًا وآية وإمامًا، وفي الوقت ذاته جاء اللسان العربي موضحًا لألفاظ ومعاني وصور القرآن الكريم، وكذلك جاءت المعاني المعجمية، ومعاني السياق، والصور الكلية المركزية، ذلك أن الله -عز وجل- قدَّر أن يأتي نص كتابه الحكيم -حين نحتسب حال المتلقي- ليس على درجة واحدة من الوضوح أو عدمه.

وقد خاطب الله -عز وجل- بكتابه العرب بلسانها ومعجمها اللفظي، وما تعرف من أساليبها ومعانيها، وعلى ذلك بات أصل الاستعمال العربي يصِحُّ أداة يُدرك بها ما قد يتوهم المتلقي من صور ومعان في القرآن الكريم.

ولعل من ذلك تلك الصورة التعبيرية المشهدية للشك وعدم التيقن معنىً للفظة (يظنون) في قوله تعالى﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1]، فهي صورة وصفية لمشهد غير مراد في الآية، يصور المؤمنين الخاشعين شاكِّين غير متيقنين من لقاء الله، وهي صورة لا تصح في حق من يوصف بالإيمان والخشوع وإنما المعنى -بحسب المفسرين- : يتيقنون، فقد يأتي الظن في القرآن الكريم بمعنى اليقين وتؤكده الأساليب العربية، حين تطلق العرب ُالاسمَ للشيء وضده، كتسميتهم النهار والليل:

(١) آية (٤٥)، ومن الآية (٤٦)، سورة البقرة.

الصريم، وإطلاقهم على المغيث والمستغيث: الصارخ، وقد أورد المفسرون من الاستعمال العربي تأييدًا لهذا المعنى قول "دريد بن الصمة":(١)

عَلانيةً ظنوا بألفيْ مُدَجَّجٍ سُرَاتهم في الفارسيّ المُسَرَّدِ(٢)

أي: تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم، ثم قول عميرة بن طارق: (٣)

بأنْ يَعْتَزُوا قومي وأقعُدَ فيكم وأجعلَ مني الظنَّ غيبًا مرجما

يعني: وأجعل مني اليقين(٤)، وشواهد الاستعمال العربي على إطلاق الظن بمعنى اليقين كثيرة إلى حد التصريح بتيقن الظن وليس فقط مجيئه في معناه(٥)، كأن يقال: فلان متيقن الظن، أو غير متيقنه.

---

(١) دريد بن الصمة الشجعي البكري: (٠٠٠٨هـ=٠٠٠٦٣٠م): من أبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، غزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين. [ينظر: "الأعلام"خير الدين الزركلي٢/٣٣٩ط دار العلم للملايين (بيروت) الخامسة عشرة ٢٠٠٢م]

(٢) "ديوان دريد بن الصمة" ت: عمر عبدالرسول ص٦٠ ط دار المعارف القاهرة١٩٨٥م، والبيت من بحر الطويل.

(٣) أبو معدان عميرة بن طارق بن حصبة بن أزنم بن ثعلبة بين يربوع، ورد ذكره شاعرًا فارسًا في خبر يوم ذي طلوح من أيام الجاهلية.[ينظر: "شرح نقائض جرير والفرزدق" ت: د/ محمد إبراهيم حور، ود/ وليد محمود خالص٣/٩٠٢ ط منشورات العالم الثقافي (أبوظبي) الثانية ١٩٩٨م]

(٤) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" ابن كثيرص١٢٧.

(٥) ينظر: "تفسير التحرير والتنوير"الإمام محمد الطاهر بن عاشور ص٤٨١ط الدار التونسية للنشر تونس١٩٩٤.

يقول "أوس بن حجر"(١) يصف صيادًا رمى حمارًا وحشيًا بسهم:(٢)

فأرسلَه مستيقنَ الظنِّ أنه مخالطُ ما بين الشراسيفِ جائفُ(٣)

ونظيره كثير بما لا يعوزنا إلى كثرة تمثيل أو مزيد تفصيل .

ويلحق بهذه الصورة كذلك ما قد يتوهمه المتلقي من صورة تعبيرية درامية للمجرمين يقفون مترددين شاكِّين وغير متيقنين من دخول النار حين عُرضوا عليها، وهي صورة لمشهد متوهم غير مراد من قوله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾(٤)، والحقيقة تؤكدها الأساليب العربية هي أن الظن في الآية بمعنى: اليقين، وأن المجرمين تيقنوا دخول النار حين رأوها وهم في دار الآخرة، وظنُّ الآخرة بحسب أكثر المفسرين علمٌ ويقين(٥).

---

(١) أوس بن حجر بن مالك التميمي (٩٥٢ق.هـ/٥٣٠٦٢٠م): من كبار شعراء تميم في الجاهلية، أبوه حجر هو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر من شعر الغزل، عمّر طويلًا ولم يدرك الإسلام. [ينظر: "معجم تراجم الشعراء الكبير ٩٢/١]

(٢) "ديوان أوس بن حجر" ت: د/ محمد يوسف نجم ص٧٢ ط دار بيروت للطباعة والنشر بيروت١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، والبيت من بحر الطويل.

(٣) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.["لسان العرب١٧٥/٩ مادة (شرسف]، جائف: الجائفةُ الطعْنةُ التي تبلغ الجوف، وطعْنَةٌ جائفة تُخالِط الجوْف وقيل هي التي تَنْفُذُه.["لسان العرب٣٤/٩ مادة (جوف)]

(٤) من الآية (٥٣)، سورة الكهف.

(٥) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" ابن كثيرص١٢٧.

وكذلك من صور التعبير التي قد يتوهمها المتلقي وأكثر ما تُدرَك حقيقتها باستعمالات العرب وأساليبها، تلك الصورة التعبيرية عن مريم- عليها السلام- وقد أتاها المخاض عند جذع النخلة في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾(١)، وهي صورة درامية مشهدية صائتة تقوم على الحوار والحركة، حكتها لفظة (فأجاءها) بمعنى أتاها لكنها صورة غير مرادة في معنى الآية والصورة الحقيقية بحسب أكثر المفسرين تحكي مشهدًا آخر تأتي فيه (فأجاءها) بمعنى : جاء بها وألجأها، وتؤيده القرينة في قوله (إلى جذع النخلة)، وهي ذات القرينة التي تجافي معنى الإتيان، فليس المعنى أتاها إلى جذع النخلة، وإنما المعنى: "فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، ثم قيل لما أسقطت الباء منه: أجاءها، كما يقال: أتيتك بزيد، فإذا حذفت الباء قيل: آتيتك زيدًا، كما قال جل ثناؤه: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾(٢)، والمعنى بزبر الحديد، والألف مدت لما حذفت الباء، وكما قالوا خرجت به وأخرجته، وذهبت به وأذهبته، وإنما هو أفعل من المجيء..."(٣)، وأذهبته إذ ألجأته للذهاب.

وقد بدا واضحًا أثر الاستعمال العربي في دعم حقيقة صورة الالتجاء وكذا في الحكم بتوهم صورة الإتيان، ومن أساليب العرب في ذلك

---

(١) من الآية (٢٢)، سورة مريم.

(٢) من الآية (٩٧)، سورة الكهف.

(٣) "تفسير الطبري" ١٥٠/٥.

وأمثالهم: "شرٌّ ما أجاءني إلى مُخَّة عرقوب" أي ما جاء بي وألجأني، ومن استعمال العرب لذلك شعرًا قول زهير:(١)

وجارٍ سار معتمدًا إليكم أجاءتهُ المخافةُ والرجاءُ(٢)

بمعنى جاءت به، وألجأته، وقد بدا واضحًا أداء الصورة اللفظية التعبيرية لمشهد اللجوء بما يؤديه الحوار أداة مهمة للتصوير وبما يتلاءم مع سياق الآية ومعناها العام.

وربما يلحق كذلك بتلك الصور التي يُدرَك توهمها لدي المتلقي بمعرفة استعمالات العرب وأساليبها صورة الأقوام السابقة في القرآن الكريم متسامحين يعفون ويصفحون، صورة تعبيرية عن لفظة (عَفَوْا) فيما حكته عنهم الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾(٣)، وهي صورة غير مرادة، إذ معنى (عَفَوْا) بحسب المفسرين: صورتهم كثروا مالًا وولدًا وسمنوا وسمنت معيشتهم وأموالهم، ليأتي معنى الآية: أن أهل القرى التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء بدَّلناهم بالحسنة بعد السيئة وبالغنى والرخاء،

---

(١) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (٠٠١٣ق هـ=٠٠٠٦٠٩م): حكيم الشعراء في العصر الجاهلي وصاحب الحوليات، ولد في بلاد "مزينة"، وكان يقيم في الحاجر "من ديار نجد"، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام.[ينظر: "الأعلام" ٥٢/٢]

(٢) "ديوان زهير بن أبي سلمى" شرحه وقدم له: علي حسن فاعور ص١٩ ط دار الكتب العلمية (بيروت) الأولى١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، والبيت من بحر الوافر.

(٣) من الآية (٩٥)، سورة الأعراف.

فبطروا معيشتهم وأخذتهم الغفلة مثل آبائهم(١)، ولا شك أنَّ هذه الصورة مغايرة لصورة العفو والصفح المتوهمة.

أما إدراك ذلك بأساليب العرب، فمنه ما جاء من أن العرب تقول لكل شيء كثر: عفا، وله قول الشاعر: (٢)

ولكنا نُعِضُّ السيفَ منها بأَسْوِقِ عافياتِ الشحْم كُومِ(٣)

أي كثيرات الشحم، والبيت مما ذكر الطبراني ثم قال: "وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"(٤).

وغير خفية في الآية بلاغة الطباق بين (الضراء والسراء) ومعنى الغاية في (حتى)، ودعم الصورة الحقيقية بمعنى الغنى والكثرة، ومجافاتها تلك الصورة المتوهمة لمعنى العفو والصفح.

ولعل من تلك الصور كذلك تلك التي يتوهمها المتلقي صورة حركية تجسيدية متخيلة للأعلام والرايات مشبِّها بها السفن تشبيهًا مجملًا في قوله

---

(١) ينظر: "تفسير البغوي معالم التنزيل"الإمام أبو محمد الحسين البغوي ت: محمد عبدالله النمر—٢٥٩/٣ ط دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض)الأولى١٤٠٩ه=١٩٨٩م.

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري (٠٠٠٤١هـ٠٠٠٦٦١م): أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام ووفد النبي صلى الله عليه وسلم ويعد من الصحابة، عاش عمرًا طويلًا، وجمع بعض شعره في ديوان.[ينظر: "الأعلام" ٢٤٠/٥]

(٣) "ديوان لبيد بن ربيعة العامري" ص١٨٤ ط دار صادر بيروت دون تاريخ، والبيت من بحر الوافر.

(٤) ينظر: "تفسير الطبري" ١٦٢/٣.

تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾(١)، وهي صورة غير مرادة بحسب المفسرين(٢)، والمعنى تشبيه الجواري المنشآت: السفن بالأعلام التي هي الجبال في عِظمها وضخامتها، وهي صورة يدعمها استعمال العرب وأسلوبها، حين تسمي كل جبل طويل علمًا، وعليه –مثلًا– قول جرير(٣) يمدح الحكم بن أيوب الثقفي، ويصف النوق التي حملته إليه:(٤)

إذا قطعن عَلَمًا بَدَا عَلَمُ حتى تناهين بنا إلى الحَكَمِ

والأعلام جمع عَلَم، وهو الجبل الطويل، وسمي عَلَما لأن المسافر يجعله علامة وأمارة على الطريق(٥).

وربما صحَّ أن يلحق بهذا ما يقابله من كون الصورة المتوهمة لدى المتلقي هي صورة أهل مدين –قوم شعيب عليه السلام–يغتنون ويكثرون ويتنعمون، صورة تعبيرية عن لفظة (يَغْنَوْا) في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا

---

(١) آية (٢٤)، سورة الرحمن.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن" القرطبي١٨٦/٢٠.

(٣) أبو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي (٢٨١١٠هـ=٦٥٠٧٢٨م): من فحول شعراء الإسلام، ولد ومات في اليمامة، وكان عفيفًا ومن أغزل الناس شعرًا، وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء، وله ديوان شعر.[ينظر: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ت: د/ إحسان عباس ٣٢١/١:٣٢٧ ط دار صادربيروت١٣٩٨هـ=١٩٧٨م].

(٤) "ديوان جرير" ص٥٢٠ ط دار صادر بيروت دون تاريخ، والبيت من بحر الوافر.

(٥) ينظر: "تفسير الطبري"١٨٤/٧، وينظر: "مجاز القرآن" أبو عبيدة معمر بن المثنىتعليق: د/ محمد فؤاد زكي ٢٤٤/٢ ط مكتبة الخانجي بمصر القاهرة١٩٨٨م.

﴿فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(١)، ذلك أن الصورة المرادة للفظة (يغنوْا) بحسب أكثر المفسرين هي صورتهم: يعيشون ويقيمون، ليكون معنى الآية: كأن أهل مدين حين أتاهم العذاب ماأقاموا في ديارهم ولا عاشوا فيها.(٢)

وقد صحَّ الاستعمال والأسلوب العربي ضابطًا يؤكد حقيقة هذه الصورة بما أورد المفسرون من قول العرب: غنيْتُ بمكان كذا، إذا أقمت به، وهو غان أي مقيم، والمغني: المنزل، والجمع: مغان، ومنه قول النابغة:(٣)

غَنِيت بذلك إذ هُمُ لي جيرةٌ منها بِعَطْفِ رسالةٍ وتودُّدِ(٤)

---

(١) آية (٩٥)، سورة هود.

(٢) ينظر: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" عبدالرحمن بن ناصر السعدي ت: عبد الرحمن بن معلا ٣٨٨٠/١٢ ط مؤسسة رسالةالأولى١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(٣) زياد بن معاوية الذبياني الغطفاني المضري(٠٠٠نحو ١٨ق هـ=٠٠٠نحو ٤٠٦م): شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان حظيا عند النعمان بن المنذر.[ينظر: "الأعلام" ٥٥/٣]

(٤) "ديوان النابغة الذبياني" شرحه وقدم له: عباس عبد الساتر ص١٠٦ ط دار الكتب العلمية (بيروت) الثالثة١٤١٦هـ=١٩٩٦م، والبيت من بحر الكامل.

أي أقمت به، ومنه قول الطائي: (١)

غنينـــا زمانًـــا بالتصـــعلكِ والغنـــى وكُلًّا سـقاناهُ بكاسـيهما الدهرُ

فمـــا زادنـــا بغيًـــا علـــى ذي قرابـــة غِنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ

أي أقمنا(٢)، وقد بدا واضحًا أن جميعها معان تدعم تأييد الاســـتعمال العربي لصورة العيش والإقامة في الآية وتؤكد تـــوهم صـــورة الغنـــى والكثرة.

وكذلك من هذه الصور تلك الصورة الزمنية التي قد يتوهمها المتلقي لآل فرعون يمر بهم الزَّمن وتتوالى عليهم الأعوام، تعبيرًا عـــن لفظـــة

---

(١) حاتم بن عبدالله الطائي القحطاني (٠٠٤٦ق هـــ=٠٠٥٧٧م): شـــاعر جـــاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج منها، ومات فـــي عوارض "جبل في بلاد طيء".["معجم تراجم الشعراء الكبير ٣٢٩/١].

(٢) ينظر: "إعراب القرآن الكريم" محي الدين درويش٤٠٩/٣ ط دار الإرشـــاد للشـــؤون الجامعية (حمص) الثالثة١٤١٢هـــ=١٩٩٢م، وورد في: "ديوان أبي عبدالله محمد بن حمير الهمداني" ت: محمد بن علي الحوالي ص٢٠٦ط دار العودة (بيروت)الأولى١٩٨٥م، وعلى هذا يصح الاستشهاد، غير أن الأبيات وردت في "ديوان حاتم الطائي" نصها:

عُنينـــا زمانًـــا بالتصـــعلكِ والغنـــى كمـــا الـــدهرُ في أيامـــه العســـرُ واليســـرُ

كسينا صروفَ الدهر لينًا وغلظةً وكـــلا ســـقاناهُ بكأســـيهما الـــدهرُ

فمـــا زادنـــا بغيـــا علـــى ذي قرابـــة غِنانـــا ولا أزرى بأحســـابنا الفقـــرُ

["ديوان "حاتم الطائي" شـــرحه: أحمـــد رشـــادص٢٤ ط دار الكتـــب العلميـــة (بيـــروت) الثالثة١٤٢٣هـــ=٢٠٠٢م]، بكلمة "عنينا" بالعين وعلى ذلك يبطل بهـــا هنـــا الاستشـــهاد، والأبيات من بحر الطويل.

(السنين) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾[1]، غير أن الصورة المرادة تعبيرًا عن لفظة السنين هي صورة اسم جنس السنين وما غلب عليه من معنى القحوط والجدب والجهد والشدائد التي ابتلاهم الله –عز وجل– بها، لعلها تدفعهم للإذعان والإنابة، والعودة عما هم فيه من الضلال.

ويؤكد الاستعمال العربي هذه الصورة، فالعرب تقول: أسنَتَ القوم، أي أجدبوا[2]، وليس أكثر دلالة على ذلك من حديث "أبي هريرة" عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قوله يدعو على كفار مكة انتصارًا للمسلمين الأولين المستضعفين: "اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف"[3]، وبحسب المحدثين جاء أن الله –عزَّ وجل– أجاب نبيه –صلى الله عليه وسلم– فأصابهم قحط شديد حتى أكلوا الميتة والجلود ونحوها، ثم ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الدعاء عليهم، فهي صورة واضحة للسنين تعبر عن القحط والجدب، وليس الصورة الزمنية المعروفة لمرِّ الزمن وتوالي الأعوام، وقد بدا الاستعمال العربي وحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– ضابطًا يدعم الصورة المرادة في معنى الآية ويجافي تلك الصورة الزمنية المتوهمة.

---

(١) من الآية (١٣٠)، سورة الأعراف.

(٢) ينظر: "لسان العرب"٤٧/٢ مادة (سنت).

(٣) أخرجه البخاري في كتابه: "صحيح البخاري"كتاب الجهاد والسير باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة١٣٨٢/٢حديث رقم٢٩٣٢ط جمعية البشرى الخيرية باكستان١٤٣٧هـ=٢٠١٦م.

المبحث الثالث

صور تعبيرية متوهمة لعدم معرفة المعنى المعجمي

غير خفي أن من أسباب إعجاز القرآن الكريم دقة توظيف ألفاظه بحيث لا تجد في النص الطاهر لفظة واحدة في غير موضعها، أو أدت معنى غير الذي وضعت له، بل لا تجد فيه لفظة إلا وهي أَلْيق ما تكون في موضعها، فإذا استبدلت -افتراضا واستدلالا- بها أخرى ترادفها لم تؤد دقة معناها، وإذا أنتَ تحكمُ للأولى بأنها أَلْيق.

وأكثر مجيء ألفاظ القرآن الكريم على أصل معناها المعجمي دلالة، ومن ثم تكفي حينئذ معرفة هذا الأصل اللغوي لإدراك المعنى، وقد تأتي اللفظة القرآنية دلالة على جذر قديم، أو لمعنى اصطلاحي، أو سياقي، وهي في هذه الحالات لا تبتعد كثيرًا عن دلالتها المعجمية، ولا تَخفى دلالة ذلك على أهمية إدراك المعاني المعجمية لاسيما للمتلقي المفسِّر والدارس لعلوم القرآن الكريم.

وثمة صور تعبيرية لألفاظ القرآن الكريم قد يتوهمها أصحابها نتيجة ضعف ثقافتهم اللغوية، وعوزهم للمعاني المعجمية لهذه الألفاظ.

ومن هذه الصور التعبيرية المتوهمة لمعاني ألفاظ القرآن الكريم ما قد يركن فيها المتلقي لمعنى معجمي لِلَّفظ غير مراد تاركًا معنى آخر هو المراد بحسب القرائن، ولعل منها تلك الصورة التشخيصية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾(١)، حين

(١) من الآية (٤٨)، سورة الأنفال.

يتوهم المتلقي صورة (الجار) المجاور في المكان، وهي صورة غير مرادة، وإنما المعنى لصورة أخرى الجار فيها بمعناه المعجمي: المجير والناصر والحليف والمانع لكم[١]، فهي صورة بحسب المفسرين مشاهدة لإبليس يستدرج المشركين يوم بدر للقتال[٢]، ويعدهم بالنصر، وحين القتال يخلف معهم وعده، ويتركهم لمصيرهم المحتوم، ونصرة الله تعالى للمؤمنين، ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٣]، وقد بدا واضحًا تلاؤم هذا المعنى المعجمي وتصويره لنصرة الحليف، ودعمه لمعنى قوة المشركين الفاسدة، ويقينهم الزائف بأن النصر سيكون لهم، وهي معان لا تؤديها الصورة المتوهمة للشيطان ومجاورته الحسية للمكان.

وكذلك من هذه الصور تلك الصورة التشخيصية التي قد يتوهمها المتلقي لنبي الله تعالى موسى -عليه السلام- راعي غنم يهشها بعصاه زجرًا، وذلك تعبيرًا عن لفظة (أهش) في قوله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ

(١) ينظر: "لسان العرب" ١٥٣/٤ مادة (جور).
(٢) ينظر:"تفسير الفخر الرازي" ١٨٠/١٥.
(٣) من الآية (٤٨)، سورة الأنفال.

﴿ غَنَمِي ﴾[1]، وهي صورة غير مرادة في معنى الآية، وإنما المعنى "يهش الشجرة: يضربها بعصاه ليتساقط ورقها مرعى لهذه الأغنام، وليس يهش الغنم زجرًا، يقال منه: هشَّ فلان الشجر يهش هشًا: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها"[2] كما "قال الراجز:

أهشُّ بالعصا على أغنامي من ناعم الأراك والبَشَامِ"[3]

قال: أخبط بها الشجر"[4]، والمعنى المعجمي للفظة: هش يهش تكسر، وهش العود : تكسر، والهش من كل شيء ما فيه رخاوة ولين[5]، وهي معان تدعم معنى هشَّ الشجرة وليس الأغنام، وقد اجتمع لهذه المعاني بلاغة الإطناب وتفصيل الإجابة على السؤال: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧"[6]، فجاءت الإجابة بإثبات المسند إليه تأكيدًا: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾[7]، وكانت تكفي لولا إرادة التفصيل وكأن المتلقي توهم

(١) من الآية (١٨)، سورة طه.

(٢) "تفسير الطبري" ١٩٠/٥

(٣) البشام: شجر عطر الرائحة، ورقه يُسوِّد الشَّعر، ويستاك بقُضبُه.["القاموس المحيط الفيروز آبادي ٧٩/٤ مادة (بشم) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٤٠٠=١٩٨٠م]

(٤) "الجامع لأحكام القرآن" القرطبي ٤٣/١٤، والبيت من بحر الرجز.

(٥) ينظر: "تاج العروس من جواهر القاموس" السيد محمد مرتضى الزبيدي ت: عبدالستار أحمد فراج٤٦٤/١٧ ط مطبعة حكومة الكويت دون تاريخ.

(٦) آية (١٧)، سورة طه.

(٧) من الآية (١٨)، سورة طه.

السؤال: وماذا تفعل بها؟ فكانت الإجابة: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾(١)، وقد بدت واضحة بلاغة الإطناب وما أضفته من بلوغ معنى الإجابة ووضوح وظيفة العصا.(٢)

ومن الصور التشخيصية كذلك تلك الصورة الدرامية الصائتة للمشركين يسخر بعضهم من بعض كِبرًا واستهزاء، وهي صورة قد تحصل للمتلقي تعبيرًا عن لفظة (سُخْرِيًّا) في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٣)، وهي صورة غير مرادة في الآية بحسب أكثر المفسرين(٤)، والمعنى: أن الله -عز وجل- يقسم الأرزاق بينهم ويسخِّر بعضهم لبعض ليخدم بعضهم بعضًا ويعمر الكون، وتستقيم أحوال الناس، فهي من التسخير بمعناه المعجمي التذلل والخضوع، وليس من السخرية : التهكم والاستهزاء، وهما لغتان في معنى التسخير(٥)، وقد بدا واضحًا دور المعنى المعجمي في جلاء

(١) الآية السابقة، سورة طه.

(٢) ينظر: ملتقى أهل التفسير vb.tafsir.net منشور بتاريخ الخميس ٢٠٠٦/٣/١٦م.

(٣) من الآية (٣٢)، سورة الزخرف.

(٤) ينظر: "تفسير الطبري" ٥١٩/٦.

(٥) ينظر: "لسان العرب"٣٥٢/٤مادة (سخر).

المفارقة بين الصورتين المرادة، والمتوهمة، وإن اختار بعض المفسرين –في لون من التأويل– أن يجمع للآية المعنيين(١)، وحينئذ ينتفي التوهم.

وكذلك من هذه الصور المتوهمة لدى المتلقي بسبب ضعف ثقافته المعجمية تلك التي قد تنتج تعبيرًا عن معنى الفعل (يشري) في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾(٢)، بمعنى يشترونها، وهي صورة وصفية، ومعنى غير مراد، ولا يتفق مع القتال في سبيل الله، وإنما المعنى: "يبيعون حياتهم الدنيا بما وعد الله أهل طاعته من ثواب الآخرة، وبيعهم إياها: إنفاقهم أموالهم في طلب رضا الله؛ لجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه، وبذلهم مُهَجهم له في ذلك..."(٣)، فهم يبيعون أنفسهم لله –عز وجل– ابتغاء مرضاته، ويبيعون الدنيا رغبة عنها بالآخرة، والمعنى المعجمي يؤيد ذلك: شرى الشيء إذ باعه، وقال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾(٤) أي باعوه، وله قول يزيد بن مُفرِّغ:(٥)

---

(١) ينظر: "تفسير التحرير والتنوير" محمد ابن عاشور٢٥/٢٠١٢٠٢.

(٢) من الآية (٧٤)، سورة النساء.

(٣) "تفسير الطبري" ٢/٥٠٥.

(٤) من الآية (٢٠)، سورة يوسف.

(٥) يزيد بن مفرغ الحميري: شاعر أموي من (تبالة) قرية بالحجاز مما يلي اليمن، كان من شعراء البلاط لدى أكثر من خليفة، وشعره في المدح والغزل، وتوفي سنة ٦٩ه، وجاء من نسله الشاعر إسماعيل الحميري.[ينظر: "معجم تراجم الشعراء الكبير ١/٧٣٥]

شريت بردًا، ولولا ما تكنفني من الحوادث ما فارقته أبدًا[١]

أي بِعْت[٢]، وهذا هو الفارق بين يشري بمعنى يبيع، ويشتري بمعنى يبتاع، ولعل ما نتج من الصورتين: المرادة حقيقة، والتي قد يتوهمها المتلقي هو ما يأتي كذلك في آيات لفظة (يشري) ومادتها في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[٤]، وقد بدا واضحًا أثر ضعف الثقافة المعجمية -لدى المتلقي- في تشكيل صورة الشراء غير المرادة.

وكذلك من الصور التعبيرية التي قد يتوهمها المتلقي هي صورة وصفية للفترة الزمنية وامتدادها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٥]، وهي صورة وإن اتفقت مع أحد

---

(١) البيت فيه تلفيق مع البيت الخامس من القصيدة، ونصه في ديوان صاحبه:

شريت بردًا، ولو ملكت صفقته لما تطلبت في بيع له رشدا

["ديوان يزيد بن مفرغ الحميري" ت: د/ عبدالقدوس أبو صالح ص٩٦ ط مؤسسة الرسالة الثانية١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، والبيت من بحر البسيط]

(٢) ينظر:"لسان العرب ٤٢٧/١٤ مادة (شرى).

(٣) من الآية (١٠٢)، سورة البقرة.

(٤) من الآية (٢٠٧)، سورة البقرة.

(٥) من الآية (١٩)، سورة المائدة.

معاني الكلمة لغويًا إلا أنها غير مرادة في الآية، والمعنى بحسب المفسرين: "على انقطاع الرسل، و(الفترة) في هذا الموضع: الانقطاع، يقول: قد جاءكم رسولنا يبين لكم الحق والهدى على انقطاع من الرسل"(١)، والفترة: الفعلة من قول القائل: فتر هذا الأمر يفتر فتورًا، وذلك إذا هدأ وسكن، وكذلك (الفترة) في هذا الموضع معناها: السكون، ويراد به سكون مجيء الرسل وانقطاع الوحي(٢)، ذلك أن مدة الانقطاع بين عيسى –عليه السلام–، والنبي الخاتم –صلى الله عليه وسلم– بلغت قرونًا اختلف في عددها العلماء بين الستة والخمسة وعقود وسنوات بينهما.

والمعنى المعجمي الملائم للمعنى العام للآية هو ما جاء لكلمة (فترة) في لسان العرب: "الفترة : الانكسار والضعف، وفلان يفتر فتارًا وفتورًا: سكن بعد حدة، ولان بعد شدة، ... قال ابن مقبل(٣) يصف غيثًا: (٤)

تأملْ خليلِي هل ترى ضوءَ بارقٍ يمانٍ، مَرَتْهُ ريحُ نجدٍ ففتَّرَا ؟

---

(١) "تفسير الطبري ٣/٦٣.

(٢) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" القرطبي ٧/٣٩٠.

(٣) تميم بن أبي بن مقبل (٧٠ق ٣٧٠هـ/٥٥٤٦٥٧م): شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم، عاش نيفًا ومائة سنة، وعد في المخضرمين، وكان يهاجي النجاشي الشاعر، وله ديوان شعر ورد فيه ذكر وقعة صفين٣٧ه.["معجم تراجم الشعراء الكبير ١/ ٣٠١]

(٤) "ديوان ابن مقبل" ت: د/ عزة حسنص١٢٩ ط مديرية إحياء التراث القديم دمشق١٣٨١هـ=١٩٦٢م، والبيت من بحر الطويل.

قال حماد الراوية: فتَّر أي أقام وسكن..."[١]، وهو معنى في الآية تؤيده القرائن وأقربها الاستعلاء المجازي في حرف الجر "على"، وما يفيده من العلو والاستقرار والسكون، وهو معنى يلائم الفتور بمعنى انقطاع الوحي، ويجافي تلك الصورة الزمنية المتوهمة.

ولعل من ذلك ما جاء من صورة تعبيرية عن لفظة (المشكاة) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾[٢]، فقد يتصورها المتلقي سراجًا أو زجاجة أو ما شابه من الأجسام المضيئة بذاتها يقول الكاتب السعودي "عبدالمجيد إبراهيم السنيد" بعد أن ذكر هذه الآية: "سألت ثمانية من الإخوة عن المشكاة فظنوا أنها سراج أو زجاجة أو نحو ذلك..."[٣]، وهي صورة تجسيدية متوهمة لمعان غير مرادة للفظة (المشكاة)، فهي بحسب معنى المعجم: اسم وجمعها مشكاوات ومشاكٍ ومشاكي، وتعني: تجويف أو كُوَّة غير نافذة في الحائط أجمع للضوء يوضع عليها مصباح، وقيل هي موضع الفتيل من القنديل أو الحدائد التي تحمله[٤]، وهو معنى تؤيده القرائن وتدعمه صورة التشبيه المرسل بمضاعفة النور وزيادته في المكان الضيق لِما يكون أجمع وأضوأ، وهي صورة تلائم معنى الآية

(١) "لسان العرب"٥/٤٣ مادة (فتر).

(٢) من الآية (٣٥)، سورة النور.

(٣) ينظر كتابه: "مائة كلمة قرآنية قد تفهم خطأ" ص٣٠.

(٤) ينظر: "لسان العرب" ١٤/٤٣٩ مادة (شكا).

الكريمة، والتشبيه السامي، وتجافي تلك الصورة المتوهمة لكون المشكاة هي ذات السراج أو الزجاجة.

ومن هذه الصور كذلك تلك الصورة التعبيرية المرئية، التي قد يتوهمها المتلقي للفظة (فرشًا) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾(١)، والفرش في معناه المعجمي وبحسب أكثر المفسرين هو: "صغار الإبل التي لم تدرك أن يُحمل عليها، أو الفصيل وما دونه مما لا يحمل عليه"(٢)، وهو معنى يلائم معنى الآية وسياقها، إلا أن بعض المتلقين قد يتمثل المعنى المعجمي القريب للفظة (فرش) ويتوهم صورة المتاع ونحوه مما قد يُفرش ويُبسط، ولعله معنى غير مراد في الآية – بحسب أكثر المفسرين– وإن اقترب من الحقيقة حين تشاكل الآية قوله تعالى عن الأنعام: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾(٣)، فقد ذكر هذا المعنى –لكلمة (فرش)–الزمخشري في الكشاف، ورأى أنها تؤدي كل هذه المعاني بما لايؤديه غيرها(٤)، ذلك أنهم كانوا يفترشون جلود الأنعام وربما يصنعون منها أغراضًا وأمتعة، وعليه فلا تَوَهُّم.

---

(١) من الآية (١٤٢)، سورة الأنعام.

(٢) ينظر: "القاموس المحيط" ٢/٢٨٠ مادة (فرش).

(٣) من الآية (٨٠)، سورة النحل.

(٤) ينظر: "تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" أبوالقاسم جارالله محمود الزمخشري ت: خليل مأمون شيحا ص٣٤٩ ط دار المعرفة (بيروت) الثالثة١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد السادات، وعلى آله وصحبه الهداة،

أما بعد:

فشرف العلم من شرف المعلوم، وها قد انتهت هذه الدراسة، بما تبديه من تنوع الصور التعبيرية في القرآن الكريم بتنوع الموضوع والسياق، وتفردها بسمات المعنى والمبنى ووجوه الإعجاز، فضلًا عما يحوط التصوير القرآني من القدسية والجلال حتى وإن تشكل من ذات المفردات المعجمية العامة بين النصوص، وذات الصور التعبيرية.

وقد تركز الدرس وتسليط الضوء على بعض المعاني القرآنية المتوهمة لدى المتلقي، ودرس أثر الصورة التعبيرية في توهمها مع الاعتداد بحال المتلقي بين غير متدبر للسياق والمعنى العام، أو غير بصير بأساليب العرب ومعاني معجمها، وربما لم يتبق من هذه الدراسة سوى سرد ما تمخضت عنه من نتائج وتوصيات تتمثل في تأكيدها على:

– إن النص القرآني كان منذ عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– وبقي وسيظل منهلًا عذبًا دائم العطاء، وأساسًا متينًا يمكن للدارس أن يرصد فيه صورًا وألوانًا وعوالم من الكشف والإبداع والإعجاز والفن.

– مثول الصورة التعبيرية للألفاظ أداة فنية حاضرة في الأسلوب القرآني وأساسًا يدعم أسباب وأسرار الإعجاز القرآني، وصورة نوعية ومتفردة لا يؤدي معناها غيرُها.

– نهوض الصور التعبيرية اللفظية أساسًا لتكوين الصور الجزئية التي بدورها تسهم في تشكيل الصورة الكلية والسياق القرآني، والمعنى العام للسورة القرآنية، ومن ثم ربما تتصل بصورة مركزية أكبر في إطار الإحكام والترابط، والعلاقات التصويرية المترامية في الفضاء القرآني الرحب، وعالمه الفسيح.

– يأتي النص القرآني – حين نحتسب حال المتلقي– ليس على درجة واحدة من وضوح المعنى، ومن ثم يمكن أن تتفق لدى بعض المتلقين صور ودلالات تجافي المعاني المرادة، وتنأى بها عن جادة الصواب.

– تنهض معرفة أساليب العرب ومعانيها المعجمية، وإعمال الفكر والاستنباط لمعرفة السياق أدوات فاعلة في معرفة وتدبر المعنى السامي، وكشف ما قد يحصل للمتلقي من صور أو دلالات غير مرادة.

– حين يأتي السياق في أقرب معانيه: تَسَاوُق الكلام ومراعاة ما قبله وما بعده، فإنه معنىً –على قربه– لا يتأتى في القرآن الكريم إلا لمن أذن له الله تعالى بفهم مراده، فيما يُعرف بالتدبر، وله خطوات أهمها الإصغاء، والنظر، ثم إعمال العقل والقلب أداتين للفهم والاستنباط.

– الحركات النقدية القديمة والحديثة حين قامت بدرس الصورة التعبيرية والفنية في الشعر وسائر النصوص الأدبية، فإنها لم تمنح هذا الدرس بذات القدر للصورة القرآنية، ومن ثم توصي هذه الدراسة بتوجيه الحركة النقدية إلى درس الصورة القرآنية بألوانها في إطار المناهج العلمية لتدبر القرآن الكريم، مع مراعاة ضوابط ومحاذير التعامل الأدبي مع النص المعجز وبما يتلاءم مع الحفاظ على قداسته وجلاله، والسمو به عن أخطاء الفهم والتأويل.

– وتناغمًا مع الحضور الفاعل في الحركة الرقمية الحديثة، والنشر عبر الوسائط الإلكترونية تؤكد هذه الدراسة على دعم واستحسان إصدارات نسخ "مصاحف القرآن الكريم" المسموعة والمرئية عبر الوسائط الإلكترونية، وما تضمه من معان وتفاسير وترجمات باتت ميسورة للمتلقين في كل الأنحاء.

والله –عز وجل– أسأل أن يتقبل هذه الدراسة طلبًا للخير، ووصلًا للعلم، وخِدمة للكِتاب الكريم، ونهلًا من فيضه.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد والآل والصحب الكرام

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: كتب مطبوعة:

١-"أحكام القرآن"- الإمام أبوبكر أحمد الجصاص- ت: محمد الصادق قمحاوي- ط دار إحياء التراث العربي- بيروت١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

٢-"إعراب القرآن الكريم" -محي الدين درويش- ط دار الإرشاد للشؤون الجامعية (حمص)- الثالثة١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

٣-الأعلام"-خير الدين الزركلي-ط دار العلم للملايين (بيروت)-الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

٤-"تاج العروس من جواهر القاموس"- السيد محمد مرتضى الزبيدي- ت: عبدالستار أحمد فراج- ط مطبعة حكومة الكويت- دون تاريخ.

٥-"تفسير البغوي معالم التنزيل"-الإمام أبو محمد الحسين البغوي- ت: محمد عبدالله النمر- ط دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض)- الأولى١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

٦-""تفسير التحرير والتنوير"-الإمام محمد الطاهر بن عاشور -ط الدار التونسية للنشر- تونس١٩٩٤.

٧-"تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن"- ت: د/بشار عواد، وعصام فارس-ط مؤسسة رسالة- الأولى ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

٨-"تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب"- الإمام محمد الرازي- ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأولى ١٤٠١ه=١٩٨١م.

٩-تفسير القرآن العظيم"- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير- ط دار ابن حزم- الأولى ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

١٠- "تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"- أبوالقاسم جارالله محمود الزمخشري - ت: خليل مأمون شيحا- ط دار المعرفة (بيروت)- الثالثة١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م

١١- "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"- عبدالرحمن بن ناصر السعدي- ت: عبد الرحمن بن معلا- ط مؤسسة رسالة- الأولى١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

١٢-"الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن"- أبوعبدالله القرطبي-ت: د/ عبدالله عبدالمحسن التركي- ط مؤسسة الرسالة- الأولى ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

١٣-"جواهر البلاغة المعاني والبيات والبديع"- السيد أحمد الهاشمي- ط دار الفكر-بيروت١٤١٤هـ=١٩٩٤م

١٤-"سنن الترمذي"- الإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي- ت: محمد ناصر الألباني-ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض دون تاريخ.

١٥-"شرح نقائض جرير والفرزدق"- ت: د/ محمد إبراهيم حور، ود/ وليد محمود خالص-ط منشورات العالم الثقافي (أبو ظبي)- الثانية ١٩٩٨م.

١٦- "صحيح البخاري"-كتاب الجهاد والسير- ط جمعية البشرى الخيرية- باكستان١٤٣٧هـ=٢٠١٦م.

١٧-"الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"- يحيى بن حمزة العلوي- ط مطبعة المقتطف بمصر-١٣٣٣هـ=١٩١٤م.

١٨-القاموس المحيط- الفيروز آبادي- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٤٠٠=١٩٨٠م

١٩-"لسان العرب"- ابن منظور المصري- ط دار المعارف مصر – دون تاريخ.

٢٠-مائة كلمة قرآنية قد تفهم خطأ"- عبدالمجيد إبراهيم السنيد- ط مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)-الأولى١٤٣٣هـ=٢٠١٢م.

٢١-"مجاز القرآن"- أبو عبيدة معمر بن المثنى-تعليق: د/ محمد فؤاد زكي-ط مكتبة الخانجي بمصر- القاهرة١٩٨٨م.

٢٢-"معجم تراجم الشعراء الكبير"-د/ يحيي مراد -ط دار الحديث- القاهرة١٤٧٧هـ=٢٠٠٦م

٢٣-"وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم"- عبدالسلام أحمد الراغب-ط فصلت للدراسات والترجمة والنشر- الأولى ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.

٢٤-"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"- أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان-ت: د/ إحسان عباس- ط دار صادر بيروت ١٣٩٨ه=١٩٧٨م.

ثانياً : دواوين شعرية :

٢٥-"ديوان ابن مقبل"- ت: د/ عزة حسن- ط مديرية إحياء التراث القديم - دمشق١٣٨١هـ=١٩٦٢م.

٢٦-"ديوان أبي عبدالله محمد بن حمير الهمداني"- ت: محمد بن علي الحوالي-ط دار العودة (بيروت)-الأولى١٩٨٥م.

٢٧-"ديوان جرير"- ط دار صادر- بيروت دون تاريخ،

٢٨-"ديوان "حاتم الطائي"- شرحه: أحمد رشاد - ط دار الكتب العلمية (بيروت)- الثالثة١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

٢٩-"ديوان دريد بن الصمة"- ت: عمر عبدالرسول- ط دار المعارف- القاهرة١٩٨٥م.

٣٠-"ديوان زهير بن أبي سلمى"- شرحه وقدم له: علي حسن فاعور- ط دار الكتب العلمية (بيروت)- الأولى١٤٠٨هـ=١٩٨٨م

٣١-"ديوان طرفة بن العبد"- شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين - ط دار الكتب العلمية- الثالثة١٤٢٣=٢٠٠٢م.

٣٢-ديوان لبيد بن ربيعة العامري"- ط دار صادر- بيروت دون تاريخ

٣٣-"ديوان النابغة الذبياني"- شرحه وقدم له: عباس عبد الساتر- ط دار الكتب العلمية (بيروت)- الثالثة١٤١٦ه=١٩٩٦م.

٣٤-ديوان يزيد بن مفرغ الحميري"- ت: د/ عبدالقدوس أبو صالح- ط مؤسسة الرسالة- الثانية١٤٠٢هـ=١٩٨٢م

ثالثاً: مواقع شبكة المعلومات الدولية "الانترنت":

- vb.tafsir.netملتقى أهل التفسير

- www.diwanalarab.com